جمهورية مصر العربية
جامعة عين شمس
كلية الآداب
إدارة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

تشكيل الدلالة الأدبية في النص الروائي عند إبراهيم الكوني

رباعية الخسوف نموذجاً
دراسة فنية تحليلية

رسالة دكتوراه مقدمة استكمالاً لمتطلبات الدرجة الدقيقة

الطالب: سعد عمر عبد العزيز

إشراف:
أ. د / ثناء أنس الوجود
أ. د / إبراهيم محمود عوض

جمهورية مصر العربية
جامعة عين شمس
كلية الآداب
إدارة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

تشكيل الدلالة الأدبية في النص الروائي عند إبراهيم الكوني

رباعية الخسوف نموذجاً
دراسة فنية تحليلية

إعداد الطالب: سعد عمر عبد العزيز

تتكون لجنة المناقشة من السادة الأساتذة:
التوقيع:

١- الأستاذ الدكتور/ مدحت سعد الجيار
رئيساً
.....
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الزقازيق

٢- الأستاذ الدكتور / محمد يونس عبد العال
عضواً
.....
....
أستاذ متفرغ بقسم اللغة العربية جامعة عين
شمس
٣- الأستاذ الدكتور / إبراهيم محمود عوض
مشرفاً
.....
..
أستاذ متفرغ بقسم اللغة العربية جامعة عين
شمس
٤- الأستاذ الدكتور / ثناء أنس الوجود
مشرفاً
.....
....
أستاذ متفرغ بقسم اللغة العربية جامعة عين
شمس

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

(الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝
خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

الآية ١ - ٣ من سورة الرحمن

الإهداء

إلى روح والدتي تغمدها الله
برحمته الواسعة

وإلى والدي الذي يترقب نجاحي

وإلى زهور المستقبل أولادي

أهدي ثمرة جهدي هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد النص الأدبي نسيجاً من بنى مختلفة، ومستويات متنوعة، وعناصر متباينة تضافرت جميعها لتشكيل البناء العام للنص، إلا أن هذه العناصر التي تلاحمت وتناسجت فيما بينها لم يكن الغرض منها البناء الشكلي أو الصورة العامة للنص، وإنما الغاية الكبرى والمرمى الأساس يكمن في المضمون والدلالة التي يطلع بها النص.

ويتشكل النص الأدبي من عناصر عدة تأتي في مقدمتها التقنيات الأسلوبية، من حيث انتقاء الألفاظ، وبناء التراكيب، وتشكيل الملامح الأسلوبية التي تتضمن التعابير المجازية والصور الفنية التي تعد أساس الصبغة الأدبية. كما نجد عناصر أخرى تلقي بظلالها على عالم النص، وهي لا تقل أهمية عن العناصر السابقة، وتتمثل في مجموعة العناصر التي تشربها النص، وتتجسد في عناصر المنظومة الثقافية والمعرفية والفكرية، والاجتماعية، والتاريخية، والدينية، والأدبية. ولا تقتصر عناصر تشكل النص على ما أسلفنا، بل هناك عناصر أخرى فنية تتضافر مع سابقاتها، لتكملة البناء العام، وهي أكثر خصوصية بالفن الروائي، وتتمثل في تقنيات (الفضاء الروائي، والزمن، والراوي، والشخصيات). ومن تشكل هذه العناصر جميعها وتلاحمها تنبثق الدلالة التي هي الغاية والمرمى التي من أجلها حشد الروائي كل الطاقات التعبيرية والفنية، وعمل على خلق نوع من التواؤم والانسجام بينها. ولأجل ذلك فإن أي دراسة تقتصر على عنصر واحد من عناصر النص فهي قاصرة عن كشف النص، ومعرفة محتواه، والعناصر التي ساهمت في تشكله وبنائه، لذلك كان هدفنا في هذه الدراسة تناول هذه العناصر مجتمعة.

وتهدف دراسة النص بصورة شمولية إلى الآتي:

١- الوقوف على العناصر الفنية التي أسهمت في تشكل النص، وفي آلية بنائه، وخلق صياغته الأدبية.

٢- معرفة أهمية كل عنصر من هذه العناصر والدور المناط به داخل نسيج النص.

٣- إن دراسة بنية النص تمكننا من الوقوف على إمكانات المؤلف، ووسائله التعبيرية، وتقنياته الفنية، وبمعنى أدق رؤية المؤلف بصورة أوضح من خلال نتاجه.

٤- إدراك أن القيمة الفنية لا تكمن في العنصر البنائي بمفرده، وإنما تكمن في تضافره مع بقية العناصر البنائية الأخرى.

٥- كشف النص من الداخل، والاطِّلاع على العناصر الفنية التي شكلت ركيزة العمل الفني.

٦- إدراك أن النص الأدبي نسيج من بنى مختلفة، ومستويات متعددة، وإن دراسة كل عنصر بمفرده، لا تهدف إلى العزل والتفكيك، وإنما الغاية الدراسة والتحليل، وأن كل عنصر من هذه العناصر لا يتعدى كونه جزءاً من البناء العام للنص.

وفيما يتعلق بحقل الدراسة فإن دراستنا لنص الكوني لا تنبع من أن صاحبه شخصية لامعة على الساحة الروائية، أو أن نصوصه لم تخضع للدراسة، وإنما تنبع من أن الدراسات التي تناولت نصوص الكوني في معظمها ركزت على جوانب معينة وأهملت ما عداها، الأمر الذي حال دون إضاءة بقية الجوانب، وكشف النص من كل جوانبه، ومعرفة التقنيات الفنية التي امتاز بها. وقد وقع اختيارنا على (رباعية الخسوف) لما تمتاز به من كثافة في المادة وزخم على مستوى العناصر البنائية التي بدورها تفسح المجال أمام المقاربة والتحليل، والوقوف على نتائج أكثر دقة. وتقع رواية الخسوف في أربعة أجزاء هي على التوالي (البئر، الواحة، أخبار الطوفان الثاني، نداء الوقواق) وهي تعد من بواكير نتاجات الكاتب. طبعت هذه الرواية عدة طبعات، اعتمدنا منها الطبعة الثالثة والأخيرة الصادرة عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بتاريخ ٤٢٨ ١ميلادية، وهي طبعة مقوَّمة.

أما فيما يخص المنهج المتبع في الدراسة، فإن طبيعة الدراسة الشمولية لكل أبنية النص فرضت، مناهج متعددة، إلا أن المنهج الغالب على الدراسة هو المنهج البنيوي، باعتباره يمتلك الأدوات اللازمة لدراسة البنية وتحديد العناصر الجمالية التي أسهمت في تشكل البناء العام للنص. أما المناهج الأخرى فكان توظيفها بقدر الحاجة إليها، وفي المواضع التي

تقتضيها، فعلى سبيل المثال نجد المنهج الأسلوبي الأنسب في دراسة التقنيات الأسلوبية والسمات التعبيرية، والمنهج النفسي لدراسة جوانب الشخصيات، والمنهج التحليلي لدراسة تقنيات تشكل الدلالة، وهكذا.

وقد اتكأت الدراسة على العديد من المراجع العربية والأجنبية، القديمة والحديثة التي كانت دليلاً تهدي خطا الباحث، ومعيناً يفتح آفاق النص أمام الدراسة والتحليل. وقد انقسمت هذه المراجع إلى قسمين: قسم يعنى بدراسة التقنيات السردية (المكان، الزمن، الراوي، الشخصيات)، وقسم يعنى بدراسة التقنيات الأسلوبية والفنية والدلالية.

هذا وقد اشتملت الدراسة على بابين رئيسين، يتضمن كل باب خمسة فصول، وتنقسم الدراسة على ضوء ذلك إلى قسمين: **القسم الأول** ويعنى بدراسة التقنيات السردية، وهو ما احتواه الباب الأول من الدراسة، حيث تصدرت الباب توطئة كانت على هيئة مدخل للجانب التطبيقي الذي يعنى بدراسة الجوانب السردية، وهذه التوطئة كانت في الفصل الأول منه. أما الفصل الثاني، فتناول تقنيات تشكيل الفضاء الروائي، ودراسة جزئياته، وربطها بالجوانب الدلالية، والبحث في تأثير جزئيات الفضاء على الشخصيات، وانعكاسها على المشهد الروائي برمته. وفي الفصل الثالث من هذا الباب تناولت الدراسة تقنيات تشكل الزمن الروائي، وحركة الزمن، وخطوط السرد، والإيقاع الزمني العام للنص، على حين تناول الفصل الرابع تقنيات الراوي في السرد، ووظائفه، وموقعه ورؤيته الأيديولوجية. أما الفصل الخامس والأخير من هذا الباب، فخصص لتقنيات تشكل الشخصيات، وتضمن البناء الشكلي لها، ودراسة أنماطها ووظائفها وربط هذه العناصر بالجوانب الدلالية.

أما **القسم الثاني**، فيعنى بدراسة التقنيات الأسلوبية والفنية والدلالية، وهو ما اشتمله الباب الثاني من الدراسة، حيث تصدرت هذا الباب أيضاً توطئة بعنوان: (مفهوم الدلالة) تناولت مفهوم الدلالة، ومراحل تشكل الأسلوب، وإنتاج النص وتعدد الدلالة، وهذه التوطئة كانت في الفصل الأول من هذا الباب. أما الفصل الثاني فتضمن التقنيات الأسلوبية، ومراحل صياغة الأسلوب، ودراسة الانزياحات، والظواهر الأسلوبية في النص. وفي الفصل الثالث تناولت الدراسة تقنيات تشكل الصورة الفنية في النص، ومصادرها، وأنواعها. على حين

اشتمل الفصل الرابع من هذا الباب دراسة عناصر المنظومة الثقافية والفكرية والاجتماعية والتاريخية والدينية والأدبية التي ألقت بظلالها على عالم النص. وقد درست هذه العناصر تحت ما يعرف بمفهوم: (توظيف التراث). أما الفصل الخامس والأخير من هذه الدراسة، فيتضمن تقنيات تشكل الدلالة، والمحاور الدلالية والمضامين الأساسية التي يدور حولها النص.

وفي الختام توِّجت هذه الدراسة بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث، وتم الانتهاء إليها. كما أرفقت بملاحق تخدم الدراسة. وأخيراً قمنا بإثبات قائمة من المصادر والمراجع التي تم اعتمادها والاستفادة منها في الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أن إنجاز البحث بالصورة التي انتهى إليها لم يكن يخلو من صعوبات ومتاعب اعترت طريق الباحث أثناء إنجاز الدراسة منها:

١- إن تعدد عناصر البحث وتَنَوُّعها تطلب عدداً كبيراً من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي كان البحث عنها والوصول إليها يستلزم الوقت والجهد.

٢- إن الدراسة الشمولية لمعظم أبنية النص تطلبت من الباحث زمناً طويلاً ومجهوداً مضاعفاً.

٣- إن تعدد الرؤى النقدية، والمناهج المختلفة، والمصطلحات المتباينة، جعلت الباحث يتعامل بحذر مع هذه الرؤى، وخاصة أن تنوّع مجال الدراسة يتطلب استخدام مناهج متعددة.

٤- إن نصوص الكوني الروائية تصطبغ بطابع فلسفي، ويكتنفها نوع من الغموض والرمزية التي تستلزم الإغراق في أعماق النص، والبحث في ما وراء الدلالات السطحية، للوصول إلى الدلالات العميقة، وهذا يتطلب الحذر في التعامل مع هذه النصوص، كما يتطلب الاطلاع على أعمال عدة تعود لنفس الروائي.

٥- إن الظروف والعوامل النفسية التي مرّبها الطالب الليبي في الفترة الماضية لم تكن تحفز على البحث والدراسة.

وفي الختام لا بد من رد الفضل إلى أهله، والاعتراف بالجميل لكل من مدّ لي يد العون والمساعدة، ولكل من حاول الأخذ بيدي للوصول بالعمل إلى ما انتهى إليه. وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور ثناء أنس الوجود، والأستاذ الدكتور إبراهيم محمود عوض، اللذين تفضلا بالإشراف على هذه الدراسة، ورعايتها في مهدها، ومتابعتها، ودعمها بكل ما هو جديد ومفيد. فضلاً عن أنهما لم يبخلا بالجهد أو الوقت، وتابعا الدراسة في كل مرحلة من مراحلها، وفي كل خطوة من خطواتها، وكان لهما الدور الكبير في تقويم الدراسة وإثرائها، وتصويب خطا الباحث، علماً بأن معظم آرائهم وملاحظاتهم لم تكن أمراً مفروضاً على الدراسة، وإنما كانت في معظم الأحيان تلاقي الاستحسان من قبل الباحث.

ولا بد من وقفة شكر وامتنان إلى أسرتي العزيزة زوجتي وأطفالي الذين تحملوا معي أعباء الدراسة، وعناء السفر، ومشقة الغربة وآلامها، وكانوا لي خير سند بتشجيعهم ودعائهم، ولطالما ترقبوا نجاحي، ونتائج إنجازي العلمي.

وفي النهاية لا أزعم لهذا البحث الكمال، وحسبي أني حاولت السير فيه جاهداً لأن يكون محاولة جديدة، وخطوة جادة، في سبيل إثراء المشهد النقدي، فإن حقق غايته فهذا رجائي، وإلا فحسبي أني حاولت. **وما التوفيق إلا من عند الله عليه توكلت وإليه أنيب.**

الباب الأول: التقنيات السردية في نص الرباعية

الفصل الأول: مدخل نظري

(تقنيات تشكيل النص الروائي)

تشكيل النص الروائي:

تأتي اللغة في مقدمة إنتاج النص الأدبي، وهي أداة الأديب للتعبير عما يجول بدواخله بأسلوب أدبي، وهذه التقنية تمثل براعة الأديب في اختيار ألفاظه بدقة متناهية، ثم رصفها بطريقة تعبر عما يريد قوله بشكل محدد. وتكمن براعة اختيار الألفاظ في أن غيرها لا يغني عنها في موقعها، ولا تستطيع أن تجد لفظة أدق أو أغنى في نقل الفكرة من اللفظة التي استخدمها الكاتب. كما يشحن الكاتب عباراته واختياراته من اللغة بصبغة ذات طابع انفعالي عاطفي، ويكملها بما ينسج خياله الواسع برسم الصور الفنية التي تجسد وتشخص الأشياء في صورة حية مؤثرة، تترجم ما يدور بداخل الأديب؛ وبذلك يلعب الخيال دوراً حاسماً في إنتاج النص من خلال الاستخدام البديع للغة النص الأدبي التي تترك براحاً لمخيلة الكاتب تمارس فيها اللعب الحر من خلال استخدام الصور، وتوظيف الشخصيات، الواقعية، والتاريخية، والخرافية، والتراثية، كل ذلك خدمة للجانب الدلالي. ويكتمل المشهد حين يبرع الأديب في تقنية الوصف، سواء وصف الشخصيات، أو الأحداث، أو الأمكنة، أو الأشياء بشكل عام؛ لأن هذه التقنية تعين الأديب على نقل الصورة والمشهد بدقة متناهية.

أما دور السمات التعبيرية فتقنية أسلوبية لا يمكن الاستغناء عنها من (حذف، وذكر، وتعريف، وتنكير، وتقديم، وتأخير...الخ) والكاتب البارع الممتلك لأدواته يعرف كيف يوظّف كل سمة من سماته بحيث تأتي في موضعها المناسب؛ وبذلك ترى الأديب لا يختار ألفاظه أو سماته التعبيرية ولا يصوغها عفواً، وإنما يختارها ويصوغها ليحملها طاقته الفنية ودلالاته التي تتناسب مع الفكرة، و الجو النفسي والانفعالي الذي يعيشه.

أما تقنيات إنتاج النص الروائي على وجه الخصوص، فتتحدد فيها عدة عناصر ومقومات منها: بناء الشخصيات، فاختيار الشخصيات ورسم التفاصيل، والعلاقات، والدوافع، والصفات، تحددها الفكرة التي يريد أن يقدمها الكاتب الروائي، وهذا العنصر لا يكتمل النص الروائي إلا به، والتقنية تكمن في مدى اختيار تلك الشخصيات وكيفية توظيفها، ويرتبط بالشخصيات حركة تسلسل الأحداث التي تبدأ بالفعل الصاعد، والعقدة، والفعل النازل، والنتيجة النهائية التي تتبلور فيها الفكرة كاملة. ولا تقل أهمية عن هذه التقنيات دور الكاتب وأسلوبه في شدِّ انتباه المتلقي من خلال دقة الوصف، ونقل الأحداث بالتدرج و إبراز التفاصيل الدقيقة التي تجعل المتلقي يعيش المشهد.

أما بنية الخطاب السردي فتعد عصب النص الروائي، ونظراً لأهميته كان مناط الدراسات النقدية الحديثة التي أولته اهتماماً بالغاً، وقد مرّ مصطلح السرد، من حيث التسمية بمراحل عدة، فكان في البداية يعنى به : "التتابع الماضي على سيرة واحدة، وسرد الحديث والقراءة على هذا المنطلق الاشتقاقي، ثم أصبح السرد يطلق على أيامنا في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطوّر مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى اصطلاحي أهم وأشمل بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي، أو الروائي، أو القصصي برمته. فكأنه الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي"[1].

وتكمن الأهمية الكبرى في مقدرة الأديب على استخدام هذه التقنية، والتحكم في حركة السرد، من حيث وضع الراوي أو الرواة، ووظيفة كل منهما، وعلاقته بطبيعة الحكاية التي تروى. ويضع الكاتب الروائي في حسبانه عوامل عدة في تقنية السرد، وفي حركة تسلسل الأحداث، فيلجأ إلى تقنية السرعة والبطء حين يستلزم الأمر ذلك؛ فسرعة السرد يراد بها حركة السرد إلى الأمام لتغطية مقطع يشمل زمناً طويلاً من القصة، أما تعطيل حركة السرد فالغاية منها إيقاف الزمن لرسم مشاهد حوارية، ومقاطع وصفية. كما يلجأ الأديب إلى تقنية الحذف فيسقط أزمنة من القصة، ويكون ذلك حين لا يضر هذا الإسقاط بحيوية المشهد الروائي. فعنصرا الزمان والمكان أساسيان في بناء الرواية، إذ إن لكل حدث زماناً ومكاناً، وتتعدد الأزمنة وتختلف الأمكنة في كل نص روائي، فالرواية عالم معقد؛ وبالتالي تقنياتها معقدة، ومركبة، ولا يمكن لأي كاتب أن يكتب نصاً روائياً ذا قيمة فنية وجمالية دون الإلمام بهذه العناصر مجتمعة.

وتقنيات الأدب كثيرة ومتعددة سواء التي ذكرناها أو التي لم نذكرها (تقنيات أسلوبية، تقنيات فنية، تقنيات الفضاء المكاني، والزماني، والشخصيات) غير أن ما يهمنا في هذا المقام ما يختص بإنتاج النص الروائي، وسنفرد هذا المبحث للخوض في هذا الجانب بوجه عام.

---

[1] عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1993،1ص 103.

تشكل الخطاب السردي في النص الروائي:

يتشكل الخطاب السردي من بنية لغوية تخيلية تقوم على طبقات من القول المرتب ترتيباً منطقياً، بحيث يكون ترابط الأفعال في بنية النص منسجماً يفضي بعضه إلى بعض، ويحيل اللاحق على السابق، ويكون المتأخر بسبب من المتقدم. فالنص الروائي يمثل حكاية، أو قولاً، يضم مجموعة من الأحداث، هذه الأحداث تسند إلى شخصيات تخيلية مستقاة من الواقع الحياتي، تتفاعل هذه الشخصيات وفق منطق ترابطها على رقعة المتن الحكائي، تقوم بين هذه الشخصيات علاقات، وتجمعها دوافع تحفزها لفعل ما تفعل[1].

وقد كان السرد يعني السير في سرد الأحداث على وتيرة واحدة، مراعياً في ذلك التسلسل الزمني للأحداث، ثم ما لبث أن أصبح ينعت به كل ما خالف الحوار، وأخيراً أصبح يطلق على النص الروائي بجملته. وهو يمثل الطريقة التي ينتقيها الكاتب الروائي ليقدم من خلالها فعل القص إلى المتلقي[2]. والأهم في ذلك هو التقنية والمهارة التي يتم بها فعل القص، والأهداف المتوخاة من وراء ذلك. فالأهمية لا تكمن في تقديم الأحداث، والأفكار، والمعلومات، وإنما تكمن في الطريقة الناجعة التي تقدم بها تلك الأحداث، ولا يعني هذا أن النجاح يكمن في تقنية السرد فحسب، وإنما تضافر العناصر الأخرى التي تجسد النص لها دور أيضاً، غير أن هذه العناصر لا تنهض إلا بمقدرة الراوي وتوفيقه في تقنية السرد.

ويبدأ الكاتب بانتقاء عناصره الأساسية التي يأتي في مقدمتها الراوي أو الرواة، ويحدد الكاتب حركة السرد عن طريق راوٍ أحادي مهيمن عالم بأحوال الشخصيات بماضيها وحاضرها بل أحياناً عالم بما يدور بداخلها، وهذا الراوي عادة ما يسمى بالراوي العليم، ويهدف من وراء اختياره القدرة على السيطرة على أحداث الرواية، أما تعدد الرواة فيعني ترك براح وحرية لوجهات نظر الشخصيات الأخرى في الرواية للتعبير عن رأيها.

ويتشكل الخطاب في النص الروائي من عناصر تعد أساساً وعصباً لهذا الفن، إذ إن نقص أي عنصر من عناصره أو عدم القدرة على الاستخدام الجيد لهذه المكونات يخلق فجوة وهلهلة يكون من شأنها إضعاف النص، وعزوف المتلقي عن متابعة القراءة؛ لذلك يحرص

---

[1] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفارابي، لبنان، ط2، 1999، ص30.

[2] عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، ص103.